



ANNALES ISLAMOLOGIQUES

en ligne en ligne

AnIsl 39 (2005), p. 9-17

Ǧamal ʿAbd Al-Riḥīm Ibrāhīm

.H 265 sanat Miṣr ḥarb nādir ṭūlūnī Dīnār . هـ ٢٦٥ نادر ضرب مصر سنة طولونى دينار.

Conditions d'utilisation

L'utilisation du contenu de ce site est limitée à un usage personnel et non commercial. Toute autre utilisation du site et de son contenu est soumise à une autorisation préalable de l'éditeur (contact AT ifao.egnet.net). Le copyright est conservé par l'éditeur (Ifao).

Conditions of Use

You may use content in this website only for your personal, noncommercial use. Any further use of this website and its content is forbidden, unless you have obtained prior permission from the publisher (contact AT ifao.egnet.net). The copyright is retained by the publisher (Ifao).

Dernières publications

9782724711523	<i>Bulletin de liaison de la céramique égyptienne 34</i>	Sylvie Marchand (éd.)
9782724711707	????? ?????????? ??????? ??? ???? ??????	Omar Jamal Mohamed Ali, Ali al-Sayyid Abdelatif
????? ??? ?????? ??????? ?? ??????? ??????? ????????????		
????????? ??????? ?????? ?? ??? ??????? ??????:		
9782724711400	<i>Islam and Fraternity: Impact and Prospects of the Abu Dhabi Declaration</i>	Emmanuel Pisani (éd.), Michel Younès (éd.), Alessandro Ferrari (éd.)
9782724710922	<i>Athribis X</i>	Sandra Lippert
9782724710939	<i>Bagawat</i>	Gérard Roquet, Victor Ghica
9782724710960	<i>Le décret de Saïs</i>	Anne-Sophie von Bomhard
9782724710915	<i>Tebtynis VII</i>	Nikos Litinas
9782724711257	<i>Médecine et environnement dans l'Alexandrie médiévale</i>	Jean-Charles Ducène

جمال عبد الرحيم إبراهيم

دينار طولوني نادر ضرب مصر سنة ٢٦٥ هـ

تعد المسكوكات الإسلامية من أفضل أنواع المصادر التاريخية في العصور الإسلامية، فهي بحق تعد وثائق رسمية وصحيحة لا يمكن الطعن أو التشكيك فيها يرد عليها من كتابات وزخارف. وترجع أهميتها إلى أنها غير قابلة للتلف إلا نادراً، وهي معيار ثابت وحسنى، سهلة الحفظ وسهلة الحمل والتقل وصعبة التزييف، كما أنها أقل التحف الفنية الأثرية إنداشأً.

لهذا فإن دراسة النقود تزود الباحثين بمعلومات هامة ودقيقة عن حياة الشعوب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، كما تكمّن أهميتها أيضاً في قيمتها الفنية والعلمية من خلال ما يظهر عليها من كتابات لأسماء الخلفاء والسلطانين والوزراء والولاة والثوار وسنوات الضرب وأماكن الضرب، لكونها من جهة معاصرة للحقائق والأحداث التي تسجلها فتسد الفراغ في المصادر التاريخية، ومن جهة أخرى فإنها تمتاز بأن تواريختها صحيحة. وفي ضوء ذلك يحصل الباحثون على معلومات عن الدول والمدن القديمة الباقي منها والمندثرة، ومدى غناها ومقدار أهميتها، وعن الولاة وسعة نفوذهم والمنشقين عليهم^١. كما أن دراسة الأماكن التي عثر عليها فيها تفيد في معرفة مدى انتشارها وتداولها، كما أنه قد نستطيع من خلالها التوصل إلى التعرف على بداية نفوذ دولة من الدول^٢.

ويعد أحمد بن طولون من أهم الشخصيات التاريخية في مصر صاحبة الخطوة الأولى في بناء مصر الإسلامية، فهو صاحب أول تجربة لإنشاء كيان مصرى خاص داخل الكيان الإسلامي العام - الدولة العباسية - وفضله من هذه الناحية عظيم، لأنّه يعتبر بمثابة النموذج الذي سار على منواله كل من حكم مصر واستقل بها من بعده، إذ عمل أحمد بن طولون على تأسيس أول دولة مستقلة إسلامية بمصر يحكمها وأولاده من بعده واستقل بأمور البلاد وكان ذلك في رمضان سنة ٢٥٤ هـ / سبتمبر ٨٦٨ م^٣.

^١ خلف فارس ودفتر الطراونة، ناهض عبد الرزاق، المسكوكات وقراءة التاريخ، عمان، الأردن، ١٩٩٤، ص ٤٥؛ رأفت محمد التبراوي، النقود الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٩٩، م، ص ٢٣١.

^٢ أبو محمد بن عبد الله البلوي (ت بعد ٣٣٠ هـ / ٩٤١ م)، سيرة أحمد بن طولون، تحقيق محمد كرد علی، دمشق، ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م، ص ٤٢.

ولهذا الحاكم دينار نادر ضرب مصر سنة ٢٦٥ هـ سوف نعرضه في هذا البحث بالدراسة والتحليل. وينشر هنا لأول مرة ويمثل النموذج الوحيد المعروف على مستوى العالم - على حد علمي - وذلك من خلال ما درس ونشر وما في المجموعات الخاصة من نقود أحمد بن طولون^٤.

وهذا الدينار يحتفظ به متحف بترى بلندن تحت رقم (UC 49711)^٥. يبلغ وزنه: ٢٢، ٤ جم، قطره: ٢٢ مم. والشكل العام لهذا الدينار عبارة عن دائرة خطية تحيط بنصوص كتابات مركز وهامش الوجه، أما الظهر فتحيط بكتابات المركز دائرة خطية، بينما يحيط بكتابات الهامش من الخارج دائرة متوازية وذلك كما يلي:

الوجه

مركز:
لا إله إلا
الله وحده
لا شريك له
المفوض إلى الله

- ^٤ حسبنا أن نشير إلى بعض هذه الدراسات ومنها: عبد الرحمن فهمي، فرج الله أحمدي يوسف، الآيات القرآنية على المسكوكات الإسلامية، دراسة مقارنة، الطبعة الأولى، الرياض، ٢٠٠٣؛ عاطف منصور، موسوعة النقود في العالم الإسلامي، الطبعة الأولى، الجزء الأول، القاهرة، ٢٠٠٤؛ سمير شما، النقود الإسلامية التي ضربت في فلسطين، مطبعة الجمهورية، دمشق، ١٩٨٠؛ محمد أبو الفرج العش، النقود العربية الإسلامية مصدر وثائق للتاريخ والفن (المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٦٤)؛ O. Grabar, *The Coinage of the Tulunids*, ANS, New York, 1957؛ N. Lowick, *Coinage and History of the Islamic World*, London, 1990.
- ينسب هذا المتحف إلى عالم الآثار المصري وليم فلندرزبترى (١٨٥٣-١٩٤٢)، ويعتبر متحف بترى للآثار المصرية ومجموعته التي يبلغ تعدادها نحو ثمانين ألف قطعة أحد أهم مراكز البحث العلمي في علوم المصريات ودراسة الحضارة المصرية على مر العصور في كل أنحاء العالم لما يضممه من تحف تعد من أnder كنوز الفنون المصرية ومنها هذا الدينار. والمتحف تابع لمعهد الآثار ويقع في رحاب كليات ومعاهد جامعة لندن بإنجلترا.
- Treasures from the Petrie Museum of Egyptian Archaeology, University College, London, 2001.
- وقد قمت بزيارة هذا المتحف أثناء مهمتي العلمية بجامعة لندن عام ٢٠٠٤م، واطلعت على سجلات هذا المتحف، خاصة التحف المصرية الإسلامية، وعملت دراسة لها منها هذا الدينار، مما أثار اهتمام المسؤولين بالمتاحف والعمل على إنشاء أقسام جديدة لعرض الفنون القبطية والإسلامية لكنني يعد هذا المتحف متحفًا شاملاً جامعاً لعلوم وفنون الآثار المصرية بمختلف حقبها التاريخية.
- ١٩٧٤؛ رافت محمد التبراوي، النقود القديمة والإسلامية للمقربي، مجلة العصور، المجلد الثالث، الجزء الأول، دار المريخ، لندن، يناير ١٩٨٨؛ رافت محمد التبراوي، التاريخ الهجري على النقود الإسلامية، مجلة المنهل العدد ٤٥٤، السنة ٥٣، ١٩٨٧م؛ رافت محمد التبراوي، النقود القديمة والإسلامية للمقربي، مجلة العصور، المجلد الرابع، الجزء الثاني، دار المريخ، لندن، يوليو ١٩٨٩؛ إبراهيم جابر الجابر، النقود العربية في متحف قطر الوطني، جـ ٢، الدوحة، ١٩٩٢؛ عبد الله بن جاسم المطيري، المعرض العالمي الأول للعمارات، دبي، ٢٠٠١؛ على حسن عبد الله حسن، النقود المصرية في العصرین الطولوني والأخشيدي، مخطوط رسالة ماجستير بكلية الآثار جامعة القاهرة، ٢٠٠٢.

هامش داخلي: بسم الله ضرب هذا الدينار بمصر سنة خمس وستين ومائتين.
هامش خارجي: الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

الظهر

مركز:

محمد

رسول

الله

المعتمد على الله

أحمد بن طولون

هامش: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

ونصوص كتابات هذا الدينار منفذة بالخط الكوفى المورق، فيوجد على مركز وجه الدينار أربعة أسطر متتالية دونت بالثلاثة الأولى شهادة التوحيد كاملة ونصها «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ» وهذا النص ظهر على الدينار الإسلامية لأول مرة بعد تعريب الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ٦٥ - ٦٨٦ هـ / ٧٠٥ - ٧٧٧ م للدينار سنة ٦٩٦ م .

أما السطر الرابع فسجل به لقب «المفوض إلى الله» وهو اللقب الذى كان يخص عبد الله جعفر ابن الخليفة العباسى المعتمد على الله، الذى أخذ البيعة من أبيه بولية العهد فى شوال ٢٦١ هـ / يوليو ٨٧٥ م ولقب بهذا اللقب، كما جعلت ولية العهد من بعده لعمه الموفق بالله ولقب بالناصر لدين الله الموفق^٧.

وتشتمل كتابات الهامش الداخلى على البسملة غير كاملة ونصها «بسم الله» واسم مكان السك أو الضرب «مصر» والتاريخ وهو «سنة خمس وستين ومائتين» وهو العام الذى عظم فيه نفوذ أحمد بن طولون السياسي والعسكري، وبدأ فى تسجيل اسمه على النقود ليعلن استقلاله عن الخلافة العباسية بعد تقوية مركزه فى مصر والشام^٨.

^٧ وليم قازان، المسكوكات الإسلامية، مجموعة خاصة، بيروت، ١٩٨٣، لوحة أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) تاريخ الأمم والملوك، القاهرة، ١٩٦٦، جـ ٧، ص ٥٩٩ رقم ٤١.

^٨ البلاوى، سيرة أحمد بن طولون، ص ٢٩٨ - S. Lane-Poole, Catalogue of Oriental Coins in The British Museum 1, The Coins of Eastern Khaleefahs, London, 1875, no. 7. أبو عمرو بن يوسف الكلد (ت ٣٥٠ هـ / ٩٦٢ م)، كتاب الولاية والقضاء،

بيروت ١٩٠٨ م، ص ٢١٩.

كما أن هذا التاريخ يمثل حدث فنياً معمارياً رائعاً وهو نفس عام افتتاح جامع أحمد بن طولون - رمضان سنة خمس وستين ومائتين - ثالث جوامع مصر الإسلامية^٩. بينما تشمل كتابات الهاشمي على جزء نص قرآنى من سورة الروم آية ٤ : ٥ «الله الأعلم من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله». وقد نقشت هذه الآية لأول مرة على نقود الخليفة العباسي المأمون ١٩٨ - ٨١٣ هـ / ٨٢٣ م، واستمرت نقش عل المسکوكات العباسية حتى سقوط خلافتهم سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م، كما ظهرت أيضاً هذه الآية على نقود الدول التابعة للخلافة العباسية مثل دول الزيادية، والطاهرية، والسامانية، والطولونية، والأخشيدية، والحمدانية، وبني مرداس، وقراططة البحرين، وبينوجي، وبينوسامة، والسلامقة، والأتابكة، بني جستان، والغزنوية، كما نقشت على نقود الدول الخارجية على الخلافة العباسية مثل دول: بني الرسى باليمن، والأدارسة بال المغرب العربي، والأموية بالأندلس، وبني صليح باليمن. كما استمرت هذه الآية نقش على المسکوكات الإسلامية بعد سقوط بغداد حيث ظهرت على سكة الدولة الإيلخانية^{١٠}.

وتشمل كتابات مركز الظهر على ستة أسطر متالية، نقش بالسطر الأول منها كلمة «الله»، وقد ظهر هذا النقش لأول مرة على الدنانير الإسلامية في عصر الخليفة العباسي المأمون ١٩٨ - ٨١٣ هـ / ٨٢٣ م في دينار ضرب مدينة السلام سنة ١٩٨ هـ، بينما سبقته الدرارم أيام الخليفة الرشيد ١٧٠ - ٧٨٦ هـ / ٨٠٨ م على درهم ضرب سجستان سنة ١٧١ هـ^{١١}.

أما السطر الثاني إلى الرابع فنقش الرسالة المحمدية «محمد رسول الله» كل كلمة في سطر مستقل؛ وقد ظهرت على النقود الإسلامية المبكرة منذ بدايات التعريب في العصر الأموي، حيث سجلت على الدنانير العربية البيزنطية والدرارم العربية السasanية^{١٢}.

ونقش بالسطر الخامس اسم «المعتمد على الله» وهو الخليفة العباسي أبو العباس المعتمد على الله ٢٥٦ - ٢٧٩ هـ / ٨٧٠ - ٨٩٢ م. والذي في عهده ازداد نفوذ أخيه أبي أحمد طلحة الملقب بالملوكي بالله، الذي كان يضيق بالأول لدرجة أنه كان يذكر اسمه في الخطبة، وينقش اسمه على السكة أسفل تصووص مركز الوجه، وتسمى بأمير المؤمنين^{١٣}.

ونقش بالسطر السادس والأخير اسم «أحمد بن طولون». ومغذي ذكر أحمد بن طولون بعد الخليفة العباسي مباشرة دلالة وإعلان من الأول عن استمرار حضوره لل الخليفة المعتمد على الله، وعلى أنه لا يزال في كنفه الديني والسياسي. وإن كنا نرى أن الإخضاع الديني أقوى منه سياسياً ليكتسب أحمد بن طولون شرعنته في حكم مصر من الإخضاع السياسي لأنه بالفعل كان عام ٢٦٥ هـ يمثل الإعلان الحقيقي لاستقلال أحمد بن طولون عن الخلافة العباسية في مصر والشام، ومارسته لأهم شارات هذا الاستقلال وهي ضرب النقود باسمه في ظل المفهوم الإسلامي لمصطلح الاستقلال.

^٩ حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد الأثرية، القاهرة، ١٩٤٦، ج.١، ١٢ الطرونة ودفتر، المسکوكات وقراءة التاريخ، ص ٥٠.
ص ٣٤؛ حسن البasha وآخرون، جامع ابن طولون، ضمن كتاب القاهرة - T. Walker, A Catalogue of Muhammadan Coins in the British Museum, London, 1956, no. 2. تاريخها فنونها آثارها، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٤٤٠.

^{١٠} فرج الله يوسف، الآيات القرآنية على المسکوكات الإسلامية، ص ٩١ ١٣ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي، الجزء الثالث، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٦٧ م، ص ١٩؛ الطرونة ودفتر، المسکوكات، ص ٥٦.

^{١١} العش، النقود العربية الإسلامية، ج.١، ص ٣٧٩.

١٢

أما نقش هامش الظهر فيتضمن جزء من الإقتباس القرآني من سورة الفتح آية ٢٩، وسورة الصاف آية ٩، ﴿مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ أَرْسَلَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينُ الْحَقِّ لِيُظْهِرُهُ عَلَى الْأَدِينَ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾. وقد سجل هذا الإقتباس القرآني على الدنانير الإسلامية المعاصرة منذ سنة ٧٧٧ هـ، ولم يظهر النص كله بل توقف عند «... الدين كله» بينما نقش بالكامل على أول درهم إسلامي مغرب ضرب سنة ٧٨٧ هـ، واستمر هذا الإقتباس ينقش على النقود الإسلامية منذ العصر الأموي وطوال العصر العباسي سواء على مسکوکات الدول التابعة للخلافة أو الخارجة عنها، وفي مسکوکات الدولة الفاطمية، والدول التي قامت بعد سقوط الخلافة العباسية ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ مثل الدولة الإلخانية، وكذلك على مسکوکات الدولة المملوكية وأتابكية السلاعنة.^{١٤}

وتكمّن أهمية الدراسة التحليلية لهذا الدينار، في أنه الوحيد على مستوى المجموعات العالمية والتي يبلغ عددها حتى كتابة هذه السطور ثمانية وثلاثين ديناراً، يحمل اسم أحمد بن طولون ودار الضرب «مصر» في سنة ٢٦٥ هـ، حيث أن الدينار الوحيد الآخر المعروف الذي يحمل اسم أحمد بن طولون وضرب سنة ٢٦٥ هـ بمدينة الرافقة ببلاد الشام ويبلغ قطره ٣٢،٥ مم وزنه ٩٧،٥٠. بينما ضرب الباقى في الفترة الزمنية فيما بين سنة ٢٦٠ - ٢٧٠ هـ.

ولهذا فإن هذا الدينار يمثل أول إصدارات الدنانير الطولونية التي ضربت بمصر سنة خمس وستين ومائتين، كما يمثل أيضاً اهتمام أحمد بن طولون بضرب نقود الذهبية مقاربة من الوزن الشرعي للدينار الإسلامي وهو ٤،٥٢ جم^{١٧}. مما يؤكّد على استقلاله عن الخلافة العباسية، على اعتبار أن هذا المعيار وضربه للنقد الذهبية من أهم شارات الملك والسلطان ومظهراً منهاً من مظاهر الحكم والسيادة.^{١٨}.

والجدير بالذكر أن كل من وصلنا من دنانير ذهبية طولونية في الفترة ما بين سنة ٢٥٤ - ٢٦٨ هـ / ٨٦٨ - ٨٧٤ وهو تاريخ قدوم أحمد بن طولون إلى مصر واليأ عليها من قبل باكياك التركي، حتى سنة ٢٦٥ هـ / ٨٧٩^{١٩}، حين عظم النقود السياسي والعسكري لابن طولون، كانت خالية من نقش اسم أحمد بن طولون، وكان ينقش عليها اسم الخليفة المعتر بالله (٢٥١ - ٢٥٥ هـ / ٨٦٦ - ٨٦٩). وأسم الخليفة المعتمد على الله (٢٥٦ - ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ - ٨٧٠) مع وجود حرف الراء (ر) أسفلاً الاسم، والذي ربما يشير إلى أحد المشرفين على دار السك^{٢١}. وأحياناً لفظ «نحرير» وهو خادم الخليفة المتوكّل على الله (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ / ٨٤٧ - ٨٦١)، الذي أرسله الموفق طلحة إلى أحمد بن طولون والذي كان مختص بالشؤون المالية في الدولة.^{٢٢} ثم نقش الخليفة المعتمد على الله فقط.^{٢٣} غير أن هذه الدنانير تتميز بتسجيل اسم

^{١٤} سامي عبد الرحمن، الوحدات النقدية المملوكية، جدة، ١٩٨٥ م، ص ٤٥٤. رأفت النبراوى، النقود الإسلامية منذ بداية القرن السادس وحتى نهاية القرن التاسع المجرى، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٤٧؛ يوسف، الآيات القرآنية، ص ٤٥ - ٤٦.

^{١٥} قازان، المسکوکات الإسلامية، ص ٢٨٨، رقم ٤٠١. والرافقة بلد متصل البناء بالرقعة وهو على ضفة نهر الفرات بناها الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور سنة ١٥٥ هـ / ٧٧٢ م على بناء مدينة بغداد؛ سيدة اسماعيل كاشف، أحمد بن طولون، القاهرة، ١٩٦٥، ص ١٠٤، حاشية (١).

^{١٦} حسن، النقود المصرية في العصرين الطولوني والإخشيدي، ص ٣.

^{١٧} فهيمي، موسوعة النقود العربية، ص ١٦؛ Z. M. Hassan, *Les Tulunides*, Paris, 1933, p. 211.

N. Micol, R. El-Nabarawy, and L. Jerel, *Catalogue of the Islamic*

Coins, Glass Weights, Dies and Medals in the Egyptian National

Library, ARCE, 1982, no. 1298.

^{٢٠} G. Miles, *Rare Islamic Coins*, ANS, New York, 1950, no. 159.

^{٢١} العش، النقود العربية، ج ١، ص ٢٨٣ رقم ١٢٨٢.

^{٢٢} العش، النقود العربية، ج ١، ص ٢٨٣ رقم ١٢٨٣.

- كاشف، أحمد بن طولون، ص ٨٠.

^{٢٣} العش، النقود العربية، رقم ١٢٨٣.

«مصر» عليها مكاناً لسكها، وكانت تتشابه تماماً من حيث الشكل العام والنصوص والزخارف كما سبق القول مع الدنانير العباسية المعاصرة لها^{٢٤}.

وهكذا يلاحظ من خلال نصوص هذه الدنانير الطولونية المبكرة السابق ذكرها، أن إغفال نقش اسم أحمد بن طولون يشير إلى أنه لم يكن له نفوذ الحكم المستقل في مصر، وأن مصر كانت تابعة لحكم الخليفة العباسى في بغداد^{٢٥}. كما تكمن أهمية الدراسة التحليلية لهذا الدينار النادر أيضاً في الرد على ما جاء من دراسات عربية وأجنبية سابقة، بأن أول دينار معروف عليه اسم أحمد بن طولون وضرب بمصر عام ٢٦٦ هـ «ضرب بمصر سنة ست وستين ومائتين»، وقد ذكر ذلك كل من لين بول Lane Pool^{٢٦}، وجрабار Grabar^{٢٧}، وعبد الرحمن فهمي^{٢٨}. وعللوا على ذلك بأن السبب في تأخر أحمد بن طولون في ضرب الدنانير باسمه في مصر إلى هذه السنة، يرجع إلى كثرة الأحداث السياسية التي شهدتها الدولة الطولونية منذ أواخر سنة ٢٦٤ هـ / ٨٧٧ م بخروج ابن طولون على رأس جيش كبير متوجهاً إلى بلاد الشام بعد وفاة أماجرور وإلى الشام، واستخلف ابن طولون على مصر ابنه الأكبر العباس، وعهد بتدير أمور البلاد إلى وزيره أحمد الواسطي. وتشهد الأدوار التاريخية القديمة بأن الحكام الأقوياء في مصر كانوا يتوجهون إلى الشام لتأمين سلامه وادي النيل مقر حكمهم، فمصر والشام تربطهما مصالح تجارية وحربيّة واحدة. وغالباً ما خضعت مصر والشام في العصور المختلفة لحكم دولة واحدة لأن كلّيّها يتمّ الآخر فلا يمكن اعتبار الحدود بين القطرين حدّاً منيعاً فاصلاً، كما أن كلّيّها كان يقع على طريق التجارة العالمية بين الشرق والغرب^{٢٩}. وواصل ابن طولون زحفه نحو بلاد الشام، وفي خلال سنة ٢٦٥ هـ / ٨٧٨، أخذ ينتقل من الرملة إلى دمشق إلى حمص، يثبت سلطانه ويقيم نوابه، حتى وصل إلى أنطاكية، ثم تقدم حتى وصل إلى طرسوس شمال بلاد الشام على حدود بلاد الروم، كما أرسل قواته للسيطرة على حaran والرقة، ثم عاد إلى مصر في نهاية ٢٦٥ هـ / ٨٧٨ بعد ما بلغه من عصيان ابنه العباس عليه^{٣٠}. وبعد أن بسط نفوذه على بلاد الشام حتى حدود العراق والروم^{٣١}.

والشواهد النقدية تتوافق تماماً مع هذه الأحداث التاريخية، فنجد أنّ أحمد بن طولون بعدما استولى على بلاد الشام، وخطب له على منابرها، وأعلن استقلاله عن الخلافة العباسية، قام بضرب الدنانير ونقش عليها اسمه في دار ضرب الرافتة سنة ٢٦٥ هـ كما سبق أن ذكرنا، أما مصر فعلى الرغم من ثورة ابنه العباس، الذي نهب خزائن البلاد وفر هارباً إلى برقة، فإنّ أحمد بن طولون سرعان ما عاد إلى مصر، وأمر بضرب ابنه واتباعه وزوج به في السجن^{٣٢}، وعادت الأمور وأحوال البلاد إلى ما كانت عليه، ومارس ابن طولون حقه الشرعي في الملك بضرب السكة باسمه فكان هذا النموذج النادر موضوع الدراسة.

^{٢٤} دفتر الطراونة، المسكوكات، ص ٥٦.

^{٢٥} مصطفى طه بدر، مصر الإسلامية، ج ١ (من الفتح الإسلامي حتى زوال الدولة الإخشيدية) القاهرة، ١٩٥٩، ص ١١٨.

^{٢٦} Lane-Poole, Catalogue of Oriental Coins..., I, p. 64.

^{٢٧} Grabar, The Coinage of the Tulunids..., p. 41.

^{٢٨} فهمي، النقود، ص ٥٥.

^{٢٩} كاشف، أحمد بن طولون، ص ٨٩.

^{٣٠} جمال الدين أبو المحاسن يوسف ابن تغرى بردى (ت ٤٧٤ هـ / ١٤٧٠ م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، ١٩٦٣، ج ٣، ص ١٢٥.

^{٣١} الكندي، الولاية والقضاء، ص ٢١٩.

^{٣٢} البلوي، سيرة أحمد بن طولون، ص ٢٧١.

كما تكمن الأهمية التاريخية لهذا الدينار، في أن تاريخ ضربه بمصر سنة خمس وستين ومائتين توافق نفس السنة التي أتم فيها أحمد بن طولون تشييد جامعه الشهير في رمضان سنة ٢٦٥ هـ / ٨٧٩ م كما يتضح من بقايا اللوحة التأسيسية الرخامية المنقوشة بالخط الكوفي المورق - نفس الخط المنقوش به الدينار - والمعلقة على احدى بدنات الجامع في البائكة الثالثة برواق القبلة.^{٣٣} مما يؤكّد هيمنة وسيطرة أحمد بن طولون وتمتعه بالاستقلال بحكم مصر، خاصة وأنه شيد من قبل عاصمه الجديدة التي عرفت بالقطائع سنة ٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م.^{٣٤}

وعلى ضوء ما تقدم يمكن القول بأن هذا الدينار النادر - موضوع البحث - يؤكّد بأن السنة التي ضرب فيها، كانت مصر الطولونية في أوج انتعاشها الاقتصادي، وأنّ أحمد بن طولون هو أول من شرع في ترتيب نظم الحكم في مصر الإسلامية داخل إطار مستقل عن الخلافة، يضمن لمصر بروز شخصيتها واكتمال صورتها العربية الإسلامية، هذا من جهة، كما يؤكّد اهتمام أحمد بن طولون بالاحتفال بافتتاح جامعه من ماله الخاص من جهة أخرى.^{٣٥} خاصة أن المصادر التاريخية ذكرت قصة ضرب أحمد بن طولون للدنانير الأحمدية، وانفاقه على بناء جامعه في قالب قصصي حيث أوردت، أنّ أحمد بن طولون ركب للصيد نحو الصعيد فلما أمعن في الصحراء ساخت في الرمل رجل فرس بعض غلامه فسقط الغلام في الرمل فإذا بنتق فتح، فأصيب فيه المال ما كان مقداره ألف ألف دينار. فبني منه ابن طولون المارستان، ثم أصاب بعده في الجبل مالاً عظيماً فبني منه الجامع، ووقف الجميع ما بقي من المال في الصدقات، ويقال أنّ أحمد بن طولون لم يدخل في بناء جامعه مالاً آخر غير هذا المال الذي كان يعتبره مالاً حلالاً طيباً وذلك حتى لا يشوبه بمال غيره.^{٣٦} وهناك رواية أخرى ذكرها المقريزي^{٣٧}، تقول بأنّ أحمد بن طولون قد ركب ذات يوم إلى الأهرام ووجد عمال يحفرون، فاكتشفوا حوضاً مملوءاً بالدنانير مصنوعة من أجود العيار، فتشدد ابن طولون حينئذ في هذا العيار حتى لحق ديناره بالعيار المعروف له وهو الأحمدي الذي كان لا يصادب بأجود منه.

وما أوحى بهذه القصص والروايات التاريخية ما ورد في لوحة تأسيس الجامع التي سبق الإشارة إليها، مما يمكن أن يوهم بمثل ذلك: إذ جاء فيها ما نصه ... «أمر الأمير أبو العباس - أحمد بن طولون - أadam الله له العز والكرامة والنعمة التامة في الآخرة والأولى ببناء هذا المسجد المبارك الميمون من خالص ما أفاء الله عليه وطيبة لجماعة المسلمين ابتغاء رضوان الله والدار الآخرة، وإيثاراً لما فيه تسنية الدين وألفة المؤمنين، ورغبة في عمارة بيت الله وأداء فرضه وتلاوة كتابه ومداومة ذكره: إذ يقول بالغدو والأصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب» وربما كان ذكر عبارة «من خالص ما أفاء الله عليه وطيبة» وكذلك إبراد قول الله تعالى ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ مما أوحى بالروايتين السابقتين بقصة الكنز^{٣٨}.

^{٣٦} ابن تغرى بردى، النجوم الراهنة، جـ٣، ص ١٠.

^{٣٣} عبد الوهاب، تاريخ المساجد الأثرية، ص ٤٠.

^{٣٤} أحمد عبد الرزاق، تاريخ وآثار مصر الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٣، المقريزي، الخطط، جـ٢، ص ٢٦٨.

^{٣٧} البasha، القاهرة، ص ٤٣٧، شكل ١٠٥.

^{٣٨} ص ١٠٩.

^{٣٥} البasha، القاهرة، ص ٤٣٧.

وما سبق لا يستبعد بأن يكون الدينار موضوع هذه الدراسة من ضمن الدنانير الأحمدية التي صرفت وضربت بنفس تاريخ افتتاح الجامع.

والجدير بالذكر أيضاً، ومن خلال ما ورد من نقش على هذا الدينار يتضح لنا بأن الكثير مما عثر عليه من دنانير خاصة بأحمد بن طولون وال موجودة في المتاحف العالمية والمجموعات الخاصة، والتي ضربت منذ هذا التاريخ (٢٦٥ هـ)، تمثل نمطاً واحداً من حيث الشكل والمضمون، حيث كانت تكتب نفس عبارات الوجه والظهر السابق الإشارة إليها، واستمر الحال هكذا مع التغيير في سنة الضرب وصولاً إلى سنة ٢٧٠ هـ وهو تاريخ وفاة أحمد بن طولون، والتي يمكننا بحق أن نطلق عليها نقود المرحلة المستقلة في الدولة الطولونية (٢٦٥ - ٢٧٠ هـ / ٨٧٨ - ٨٨٤ م) ^{٣٩}.

وفي ضوء ما سبق يؤكد لنا هذا الدينار ما أوردته المصادر والمراجع التاريخية، على أن أحمد بن طولون ومنذ قدومه إلى مصر لأول مرة سنة ٢٥٤ هـ / ٨٦٨ لم يستطع ضرب نقود تحمل اسمه حتى سنة ٢٦٥ هـ / ٨٧٩. فقد كانت دنانير هذه الفترة تشبه تماماً دنانير الدولة العباسية وتحمل أسماء الخلفاء العباسيين وضرب مصر مثل الخليفة العباسى المعتر بالله، والمعتمد على الله، واسم جعفر بن الخليفة المعتمد^{٤٠}. إذ كانت هناك صعوبات وعقبات قد واجهت أحمد بن طولون في استقلاله بحكم مصر وبالتالي ضربه نقوداً تحمل اسمه، فإلى جانب العقبات الداخلية التي واجهته ٢٥٥ هـ / ٨٦٩^{٤١} كانت هناك مشكلة بينه وبين عامل الخراج أحمد بن المدب وكان الأخير ذو نفوذ وسطوة عظيمة، ومشكلة أخرى مع عامل البريد شقير غلام، حيث نجح أحمد بن طولون في التخلص منه عام ٢٥٥ هـ / ٨٦٩ وبالتالي تخلص من أهم جاسوس خطير لدى الخلافة العباسية في مصر^{٤٢}. ثم أزالت الأقدار ابن المدب من أمام ابن طولون بتوليه خراج الخليفة المعتمد الشغور في بلاد الشام^{٤٣}. إلا أن أهم العقبات التي واجهت أحمد بن طولون في استقلاله بمصر وضرب نقوده بها، هو الصراع بينه وبين الموقف طلحة أخو الخليفة المعتمد على الله (٢٥٦ - ٢٧٢٩ هـ / ٨٧٠ - ٨٩٢ م)، والذي بايده الخليفة ولیاً للعهد بعد ابنه جعفر، وأصبحت له الكلمة الأولى في الدولة. وصار الخليفة المعتمد وأخوه الموقف طلحة كالشريكين في الخلافة، للمعتمد الخطبة والسلكة والتسمى بإمرة المؤمنين، ولطحة الأمر والنهاي وقيادة العساكر ومحاربة الأعداء وترتيب الأمراء، الأمر الذي جعله في حاجة إلى أموال مصر للإنفاق على مصالحه السابقة، واستمر الصراع بينهما طويلاً إلى أن باهت كل محاولات الموقف بالإطاحة وعزل أحمد بن طولون بالفشل سنة ٢٦٤ هـ / ٨٧٧، بسبب قوة مركز شوكة الأخير في البلاد، فلم يجرؤ أحد على مهاجمته لإخراجه من مصر بالقوة، بل وصل بلعن أحمد بن طولون للموقف من على المنابر وإسقاط أسمه من الدعوة^{٤٤}.

^{٣٩} المطيري، المعرض العالمي الأول للعملات، ص ٢٤.

- حسن، النقود المصرية، ص ٦٠.

^{٤١} الكندي، الولاة والقضاء، ص ٢١٢.

^{٤٢} البلوي، سيرة ابن طولون، ص ٥٩.

^{٤٣} عاطف منصور، موسوعة النقود في العالم الإسلامي، القاهرة، ٢٠٠٤ م، المقريزي، الخطط، ج ١، ص ٣١٤.

^{٤٤} البلوي، سيرة ابن طولون، ص ٢٩٨.

ج ١، ص ٢٥٤.

وهكذا مضى هذا الصراع بين أحمد بن طولون والموفق، وفي كل حلقة من حلقاته تزداد قدم ابن طولون رسوحاً وثباتاً، مما يدعم استقلاله بمصر، وأخيراً عجز الموفق عن النيل من ابن طولون، وتم الصلح بين الطرفين بعدما تعب ابن طولون من ذلك التزاع^٤، وبذلك تحققت آمال أحمد بن طولون في الاستقلال بمصر وضرب السكة باسمه منذ عام ٢٦٥ هـ ومنها هذا الدينار.

وفي ضوء ما سبق يتضح لنا أن هذا الدينار النادر الذي يحمل اسم أحمد بن طولون ومكان الضرب مصر وسنة الضرب (٢٦٥ هـ)، هو الدينار الوحيد المعروف لنا حتى الآن على مستوى العالم، ويمثل إضافة جديدة للمسكوكات الإسلامية بصفة عامة، ونقود دولة الطولونيين بمصر بصفة خاصة. ويثبت هذا الدينار قيام أحمد بن طولون بضرب النقود باسمه على الرغم من وجود نقود أخرى باسم الخلفاء العباسيين المعاصرين له. كما أن هذا الدينار يمثل الوثيقة التاريخية والمادية الوحيدة المعروفة حتى الآن التي تشير إلى أول دينار مستقل يضرب بمناسبة استقلال أحمد بن طولون بحكم مصر سنة ٢٦٥ هـ / م٨٧٨.



^{٤٠} الكندي، الولاية والقضاة، ص ٢٢٨.